البركان الايراني يتفجر في ذكرى عاشوراء

ملايين الجماهير الايرانية ضد حكم الطغيان والامبريالية الاميركية .. والجيش الايراني يخطف اهتمام كافة الاطراف

ليست جماهير الشعب الايراني وحدها التي تعيش حالة الطوارىء، في تصميمها على المضي في انتفاضتها العارمة حتى اسقاط الشاه . ولا الشاه وجيشه يعيشان حالة الطوارىء التي تفرضها الانتفاضة الجماهيرية المستمرة في تصاعد مضطرد . بل ان الولايات المتحدة نفسها تعيش حالة طارئة ايضا بسبب احداث ايران ، والتي اعترفت ضمنا ، انها جاءتها على حين غرة ، ولم تكن تتوقع لها التطور الذي وصلت اليه . وليست تصريحات الرئيس كارتر وغيره من المسؤولين الاميركيين المعبرة عن القلق تجاه مصير حليفهم شاه ايران ، وحدها التي تؤشر الى هذه الحالة التي تعيشها واشنطن، بل ان التحركات الاميركية الاخيرة هي مؤشر اكثر بلاغة عن حالة الطوارىء في واشنطن بسبب احداث ايران ، خاصة من بعد ان بات يتأكد يوميا ، فشل الحكومة العسكرية الايرانية ، في مهمتها بوقف تدهور الوضع واستعادة زمام السلطة .

وقد بدأ فشلها صارخا منذ عطلة نهاية الاسبوع خلال تظاهرات ذكرى عاشوراء الدينية والتي كانت تظاهرات سياسية ومجرد مناسبة لاستجماع القوى محددا ، والتحرك ضد الشاه ونظامه .

فمن بعد ان كانت حكومة الجنرال غلام رضا ازهري قد فرضت حظرا على المواكب الدينية استباقا للتظاهرات التي كانت تتوقع انفجارها بدرجة اعنف من السابق ، عادت هذه الحكومة فاضطرت الى التراجع . فعندما اعلن الجنرال ازهري عشية ذكرى عاشوراء « ان الجنود لن يتدخلوا في حال قيام مواكب من هذا النوع (دينية) ... » كان يسجل عمليا ، تراجعا من الحكم امام الضغط والتصميم الجماهيري ، والذي يشتد كلما لمس قدرته المتزايدة ان على فرض التراجعات على سلطة الشاه ، او على افشال مناوراتها .

لقد نزلت جماهير الشعب الايراني بالملايين ، في شوارع طهران والمدن الايرانية الاخرى التي وصفها المراسلون الصحافيون بانها غرقت في سيول بشرية . وعوضا عن الحبر ، فان الايام التي تلت تظاهرات ذكرى عاشوراء ، شهدت هذا في السيل البشري المتدفق في شوارع المدن الايرانية يهتف « الموت للشاه » ، و « الطرد » للاميركيين . وفي الواقع كان ملفتا للنظر طابع الهتافات السياسية التي كانت تطلق في التظاهرات . فبالاضافة الى الهتافات المعادية للشاه كانت الهتافات المعادية للامبريالية الاميركية هي الهتافات المفضلة لدى المتظاهرين . كذلك كانت اليافطات التي رفعت خلال التظاهرات تعبر عن العداء الشديد للولايات المتحدة وللسيطرة الاميركية على ايران .

ولم يكن ترحيل عائلات الاميركيين وغيرهم من الاوروبيين عشية تظاهرات ذكرى عاشوراء، الدليل الوحيد على الاهتزاز الحقيقي لثقة واشنطن بقدرة الشاه وجيشه على استعادة زمام الامور . ففي الاسبوع الماضي عين الرئيس كارتر خبيرا في الشؤون الخارجية هو جورج بول ، وكيل وزارة الخارجية السابق كمستشار في مجلس الامن القومي لاسداء النصيحة للمجلس حول احداث ايران ، رغم ان مجلس الامن القومي كان قد تلقى نصيحة حاسمة بهذا الخصوص ، ومن خبراء اميركيين في الشؤون الايرانية . فقد كان المجلس قد بعث الى طهران بضعة اشخاص من الاساتذة الجامعيين المتخصصين في مشاكل ايران المعاصرة . وذكرت صحيفة « لو موند » الفرنسية ان هؤلاء ، ومن بعد محادثات مع اعضاء الحكومة والوزراء السابقين وممثلي مختلف الكتل المعارضة ، توصلوا الى استنتاج موحد ، هو : « ان كافة التيارات السياسية ، في ايران مجمعة على العداء للشاه ، ويظهر ان من الضروري وبغية التغلب على المآزق ، ان يذهب الشاه .. » ومن هنا جاء تصريح الرئيس كارتر الذي قال فيه وللمرة الاولى منذ تصاعد احداث ايران ، بأنه لا يعرف مصير الشاه ، وانه « لا يعلم ما اذا كان الشاه سيبقى رغم الازمة الراهنة في بلاده » . وذلك بعد ان دأب ورجال ادارته طوال السنة الاخيرة ، على الاعراب عن اعتقادهم بان الشاه سيتمكن من الخروج من الازمة ...

فكما كان يتوقع الشاه وقادة جيشه ، كانت واشنطن ايضا تتوقع ان يكون شهر محرم - شهر الحداد لدى المسلمين الشيعة - فترة عاصفة ان لم تكن حاسمة في مصير حكم الشاه . فاية الله الخميني ، الذي يسلم الجميع بحقيقة انه يقود في الوقت الحاضر حركة الجماهير الايرانية ، دعا الى ان تكون المناسبة حاسمة بالنسبة لنظام حكم الطاغية . وهو لم يدع فحسب ، الملايين الى تصعيد التظاهر والاضراب من اجل اسقاط الشاه، بل خاطب الجنود في الجيش الايراني ودعاهم الى الانخراط في صفوف اشقائهم، كما دعا الى اضراب عام مفتوح ، وحث العمال في قطاع النفط الايراني على تكرار الاضراب الذي نفذوه على مدى اسبوعين في الشهر الماضي ، وكلف الدولة خسارة بليون دولار ، قيمة عائداتها من النفط الخام عن تلك الفترة . وكانت القوى المناهضة لحكم الشاه تشدد ضغوطها الاقتصادية على الحكومة ، وذلك من خلال الاضراب عن العمل او التوقف عن العمل او اسلوب التباطؤ في العمل ، في القطاعين الصناعي والنفطي . وكان اضراب عمال حقول النفط جنوب غربي ايران في الاسبوع الماضي ، قد استمر ٤ ايام وذكرت مصادر مطلعة ان معدل الانتاج اليومي حاليا ، قد انخفض الى حوالي ٤،٦ مليون برميل - اي الى اقل من نصف المعدل اليومي الطبيعي ، والذي كان يبلغ ٦ ملايين برميل - الامر الذي كلف الخزينة حوالي ٣٥ مليون دولار في اليوم الواحد .

لقد كانت جميع الاطراف المعنية تستعد للتظاهرات في ذكرى عاشوراء . اشتدت الحراسات على المباني الحكومية ، على الطرق المؤدية الى قصر الشاه وضاحية سكن الاجانب ، وعلى السفارات الغربية خاصة الاميركية . وانتشرت القوات في المواقع الحساسة من الطرق في المدن الايرانية . ومنعت الحكومة العسكرية كافة التجمعات العامة للاحتفالات الدينية . وهدد رئيسها الجنرال ازهري بمعالجة اية انتهاكات «من دون رحمة » . (ولكنه اضطر الى التراجع في اخر لحظة عندما اعلن زعماء المعارضة الدينية ان الجماهير ليست بحاجة الى اذن خاص لممارسة طقوسها الدينة ، وفي ضوء الانتهاكات المتواصلة لقوانين حظر التجول والتظاهر ، من قبل الجماهير الايرانية الغاضبة) . اما الشاه فانه كان يحاول استباق المجابهة الجديدة من خلال التحرك على صعيدين : الاول ، الاستنجاد بمساعي الملك حسين « الحميدة » لدى الامام الخميني خلال زيارة خاطفة قام بها الملك الى طهران حيث اجتمع الى الشاه . وكان يتوقع ان يلتقي ملك الاردن الامام الخميني خلال زيارته لفرنسا ، لولا ان الامام استبق المحاولة عندما اعلن رفضه لاية وساطة بينه وبين الشاه ، في اشارة واضحة الى انباء « مبادرة » الملك حسين ، وكرر موقفه الثابت من ضرورة الاطاحة بالشاه وحكمه . اما على الصعيد الثاني فقد سعى الشاه من اجل التوصل الى تسوية سياسية مع المعارضة . وقد ذكرت مصادر مطلعة ان الشاه حاول ولكن دون جدوى ، تأليف حكومة ائتلافية تكون مقبولة من بعض المعارضة ، على امل شق تلاحم المعارضة الدينية والليبرالية . ولكن معظم السياسيين تهربوا من الاشتراك في مثل هذه المحاولة . فقد كانوا يخشون ان يفقدهم تعاونهم مع الشاه ، مصداقيتهم في اوساط مؤيدي الامام الخميني وذلك في اعتراف غير مباشر منهم بمدى نفوذ الامام وحجم قوته القيادية ، ومبدى التآكل الذي اصاب سلطة الشاه .

لقد كان الشاه يأمل بان يؤدي اعترافه مؤخرا « باخطاء الماضي » واعتماده على قوة جيشه من انتزاع الفتيل من مطالب المعارضة ، وعلى رأسها المطالبة برأسه . وقد سعت الحكومة العسكرية الى مساندة امال الشاه تلك بممارسة سياسة القبضة الحديدية « من دون رحمة » ، وقمع اية تظاهرات خلال شهر محرم . ولكن الجماهير الايرانية خيبت امال السلطة . ومنذ بدء موجة الانتفاضة الاخيرة بات السؤال عن ولاء الجيش للشاه يطرح بقوة اكثر من اي وقت مضى، خاصة بعدما تناقلت وكالات الانباء في اوائل الاسبوع ، انباء حوادث تمرد جنود على اوامر ضباطهم ، واقدام احدهم على اغتيال الحاكم العام لمقاطعة همذان في شمال غربي ايران واصابته بجروح خطيرة .

ان تراجع الحكومة العسكرية عن قرارها بحظر « الاحتفالات » بمناسبة ذكرى عاشوراء وتبرير تراجعها برغبتها في تجنب المزيد من المواجهات وسفك الدماء ، كان صحيحا الى حد . ان السلطة لم تتخلى عن سياسة القمع والتعذيب والقتل ، ضد معارضيها ، ولكنها فعلا تخشى تأثير الصدامات المتوالية بين الجماهير الايرانية وقوات الجيش ، على معنويات الجنود وبالتالي على ولائهم . فكل مواجهة تسفر عن سقوط قتلى . وكل مسيرة تشييع للشهداء الذين سقطوا تزيد الضغوط على قوات الجيش والشرطة وتفرض في وقت من الاوقات النظر في الفارق بين «المحافظة على النظام » وبين قتل المجند لشقيقه المواطن.. ان هذا الاعتبار كان في بال الديبلوماسي الغربي في طهران الذي قال بان الجيش ان عاجلا ام اجلا، سيبدأ في طرح الاسئلة على ممارسته ، واضاف : ان ولاء الجيش للشاه يعتمد على مدى استمرار الانتفاضة ...

ان الجيش هو المؤسسة التي يعتمد عليها

الجيش السند والكابوس

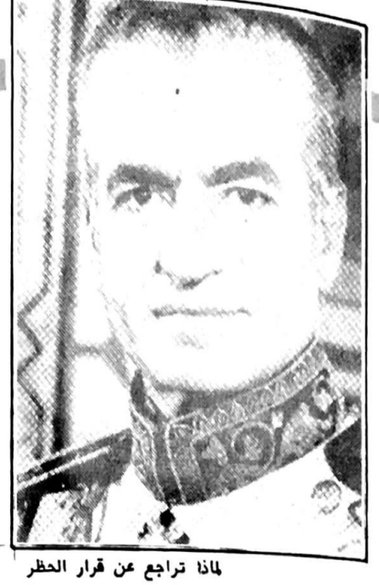

لماذا تراجع عن قرار الحظر

ملايين من الايرانيين يهتفون ضد الطاغية وضد الامبريالية الاميركية